

ما انفرد به ابن هشام في الباب وفي الصميم

أما الأمور التي انفرد بها ابن هشام، وكانت في لباب العلم وفي صميم النحو، والتي تنم عن رسوخ قدمه، وتدلل على نفاذ بصيرته وصفاء قريحته، وتجعله في صفوف الثقات المجتهدين فإنني أورد منها ما وقفت عليه في بعض كتبه التي هي في متناول اليد الآن، ولعل له فتوحات أخرى كثيرة فيما حُجِبَ عنا من مؤلفاته التي استأثرت بها مكتبة ليدن، وبرلين، والتي نوه بها العلامة السيوطي.

ومنها ما بلغ خمسة عشر مجلداً، فالذي يتاح له مطالعة هذه الموسوعات يستطيع أن يستخلص منها قدرًا أوفر مما انفرد به ابن هشام وعملاً بالقول المأثور «ما لا يدرك كله لا يترك جله» أذكر ما ألفيته، ولإعجال الوقت دخل في اقتصاري على ما سأذكر إذ إن الإتيان بما انفرد به كاملاً يقتضي ريثاً وموازنة تامة بين مؤلفاته ومؤلفات غيره، وهي جد كثيرة تفتقر دراستها وحدها إلى بضع سنين، وقد سمعت أن مستشرقاً عكف على دراسة حرفي السلب والإيجاب زهاء سبعة عشر عاماً، ثم ندم عند تمامها على جمعه بينهما، وبدا له أنه كان أجدى عليه إنفاق تلك الحقبة في دراسة أحدهما.

١ - فمما انفرد به أن «قد» الحرفية لا تفيد التوقع، حيث قال: إن لها خمسة معان:

أحدها: التوقع: وذلك مع المضارع واضح كقولك: قد يقدم الغائب اليوم؛ إذا كنت تتوقع قدومه.

وأما مع الماضي فأثبتته الأكثرون، قال الخليل: «يقال: قد ظل القوم ينتظرون الخبر» ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك، ولا يخفى أنه يريد مقيم الصلاة، وقال بعضهم: تقول: قد ركب الأمير لمن ينتظر ركوبه، وفي التنزيل: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» [المجادلة: ١] لأنها كانت تتوقع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها، وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضي، وقال التوقع: انتظار الوقوع، والماضي قد وقع.